الذات والمؤسسة عند ميشال فوكو

The Self and the Institution according to Michel Foucault

ضرباني أمينة*

جامعة وهران 2/ الجزائر (aminadorbani1988@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2018/01/14 ؛ تاريخ القبول : 2018/05/22 ؛ تاريخ النشر : 30 /05/ 2018

الملخص

" لا تَسْأَلُونِي مَنْ أَنَا وَ لا لأَيِ فَلْسَفَةٍ انْتَمي"، هَكَذَا كَانَ يُرَدِدُ الفَيْلَسُوفُ الارْكِيُولُوجِي: مِيشَال فُوكُو، قام هذا الأخير من خلال معنى الجينيالوجي– الاركيولوجي باستنطاق المسكوت و الكشف الغامض و الهامشي». يحمل ميشال فوكوكل من : المستثنيات والثكنات و السجون و المدارس، المسؤولية في إقصاء الإنسان وصوته فالفرد يعد في المجتمع انضباطي، يعرف مشال فوكو بنقده للمنظومات و القوانين التي تتعلق بالمصحة و المستشفيات لأن المستشفى بدورها تعد مظهر لا يحمل إلا مخلفات المرض المعالج نتيجة التسيير السيئ للمعانات، فهي محطات وفظاءات تعمل داخلها السلطة من : المراقبة والضبط.

الكلمات المفتاحية: المراقبة و الانضباط. اللانسق. اللامفكر فيه. الاركيولوجيا. الابستيمي.

Abstract

"Do not ask me who I am or what philosophy I belong to", this is what the archaeological philosopher used to say: Michel Foucault, through the meaning of Genetic and Scotology, through the meaning of this mysterious discovery." From: exceptions, barracks, prisons and schools, Michel Foucault bears the responsibility for excluding man and his voice. The individual is considered a disciplinary society. Michel Foucault is known for his criticism of the systems and laws related to clinics and hospitals. Because the hospital, in turn, is a manifestation that bears only the remnants of the disease treated as a result of Bad management of suffering, as they are stations and spaces within which the authority operates from: monitoring and control.

Keywords: Control and discipline. Uncoordinated. Unthinking. Archeology. Epistemic.

* **الباحث المُرسل:**

1.مقدمة:

شغلت إشكالية النزعة الإنسانية،الفلسفة المعاصرة ، إلى درجة أنها أصبحت المسالة المحورية في تلك الفترة، تعددت مشاريعها و خطاباتها، تمظهرت اهتمامات المفكرين في وضع تأويلات مختلفة و متباينة إلا أن هؤلاء الفلاسفة اشتركوا في نقد النزعة الإنسانية والتاريخية .

بداية مع "نيتشه" "F.Neiztsche" الذي أعلن عن موت الإله ذلك من خلال نقده للنزعة الإنسانية و التاريخ، حتى العلم لم يفلت من مطرقته، في نزعة أفرطت في إنسانياتها في كتابه " هكذا تكلم زراد شت " مات الله و نحن من قتلناه ،دماءه ملطخة في سكاكيننا".

أما مع "هايدغر"M.heiddeger "، أصبحت الفلسفة تنذر على النهاية و الأفول، تلك الفلسفة التي أوهمت الناس على أنهم الذات العارفة الأخلاقية، المريدة، الحرة، هي فلسفة كذبت على نفسها.

جعلت الفلسفة من الإنسان صنما، نسي وجوده، خلقت من الإنسان وهم على أنه حقيقة، التي في باطنها تخفي كل أنواع الاديولوجات، كذلك تلك الأنظمة الاستبدادية .

تعتبر الفلسفة المعاصرة فلسفة أللانسق و التفكيك، التقويض، فلسفة سلطت الضوء على اللامفكر فيه، خاصة في فرنسا مع ليفي ستروس، دريدا، جيل دولوز، ميشال فوكو، هذا الأخير يعد من بين هؤلاء الذين أعلنوا عن موت الإنسان، تكلم عن الذات التي أصبحت مفلولة، مشتتة، اهتم فوكو بالمؤسسات كالمصطلحات، الثكنات المستشفيات، كذلك السجون، أعطى ميشال فوكو منظورية جديدة للسلطة وللمعرفة، هو ذلك المتمرد الثائر والرافض هو السياسي، المؤرخ، هو البنيوي الاركيولوجي و الجينيالوجي .

يصنف ضمن فلاسفة ما بعد الحداثة، أو فلاسفة الاختلاف مع دريدا و جيل دولوز . مع فوكو أصبحت الحقيقة همّ، يقول فوكو في كتابه " حفريات المعرفة " «لا تسألوني من أنا و لا تطلبوا مني أن أبقى الشخص نفسه».

نفهم من سياق النص السابق أن أعماله غير قابلة للتحرير، غير ثابتة إنه لا يؤمن بمنهج واحد أو فكرة محددة، لديه القابلية على تغيير منظوريته، هو فيلسوف القطيعة.

بدأ فوكو القطيعة مع الحزب الشيوعي و مع الماركسية، نعرف أن فوكو حاصل على شهادة الإنسانية في الفلسفة ، إلا أنه في الحقيقة اتبع مسارا مختلفا في التنقيب لما هو منسي،

تفحص كتب السحر و الطب، تقارير الشرطى، كذلك اهتم بدراسة التحليل النفسي من خلال كتابه " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" .

إن مقولة « موت الإنسان» ، حققت شهرة فوكو و يقول في كتابه "الكلمات و الأشياء" « لم يعد التفكير ممكنا في أيامنا هذه إلا داخل الفراغ ، الذي يحدثه اختفاء الإنسان، ذلك لأن هذا الفراغ لا يعري نقصا و لا يشير إلى ثغرة يتوجب سدها، انه ليس أكثر و لا أقل من تراجع لفضاء معين سمح في النهاية بإمكانية التفكير من جديد».

أصبحت حقيقة الإنسان عند ميشال فوكو في مستقبله الغائب في اللامفكر فيه، حيث تعتبر الثورة الاركيولوجية التي قام بها فوكو اعتبرت الجنون هو الحقيقة، ثورة على العقل لأن الإنسان انتهى، أعلن موته من خلال إعطاء الفرصة للوضعية التجريبية لكي تملأ فراغه من عمله، تصرفاته، لغته، حياته.

هنا ذاب الفرد في المجتمع، أوشك على نهايته.إن الثورة الصناعية و ما حققته من مكاسب، إلا أنها أفلست الإنسان و جردته كونه إنسانا ليس آلة انتهى المطاف بالفلاسفة التنويريين على أن فلسفتهم ما هي إلا وعود خسيسة، حيث فشلت الحداثة باستحواذ الإنسان لأنه أعلن عن موته، كشف فضائح و تملق التاريخ.

وظف فوكو من خلال منهجه " الجنيالوجي و الاركيولوجي " التاريخ لكي يستنطق المسكوت بإعادة قراءة العلوم الإنسانية، تحدث كذلك فوكو عن " الابستيمي " ، التي تبين لنا هذه الدراسة الجديدة كيفية تشكل الإنسان من خلال ميكرو فيزياء السلطة.

يحمل ميشال فوكو كل من المستشفيات، الثكنات، وحتى المدارس المسؤولية في إقصاء الإنسان و في موته، فالفرد يعيش في مجتمع انضباطي، يمارس عليه الضغط عن طريق آليات القوة من خلال تقهقر سلوك الفرد و مراقبته إلا أنه و في نهاية المطاف تقوم هذه المؤسسات الانضباطية بجمع الإنسان و خلق حملة من حملات الذعر و التشتت والضياع.

فإذا كانت الليبرالية تفترض وجود الفرد فان فوكو يوضح أن الفرد لم يكن كيانا مكتملا موجودا قبل نشأة السلطة، بل كان من إنتاج السلطة نفسها، أما في الحقيقة أن كل ما يقع داخل هذه المؤسسة الانضباطية يكون خارج العقد الاجتماعي، مثل علاقة المريض بالطبيب (لأن المستشفى تعتبر تنظيما لسلطتها و المريض موضوع تمارس عليه التقنيات العلاجية و الإدارية) والعلاقة بين إدارة السجن و السجناء كذلك، المعلم والطالب و قادة الجيش و الجنود . هذه المواقع سلطوية، هي نماذج من البشر لا ينظمهم أي عقد اجتماعي هي ذوات لا تعاقدية.

بحث فوكو من خلال الحفر في أسفل المجتمع و ليس في قمة هرم الدولة يقول « إن العالم في وضع يتحول فيه إلى نوع من السجن» و إن السلطة التي يتكلم فيها ميشال فوكو « هي القدرة على أن تجعل الآخر يقوم بأفعال محددة، في حين يوهم الطرف الآخر على أنه حر و مخير و هذه أعلى درجة يمكن أن تصل إليها السلطة هي ممارسة غير مرئية، تعددية، منتجة.

مرئيــة	تعدديــة	منتجــة
في مختلف ميادين المجتمع	ليس محكومة بمشروع رئيس واحد	تخلق علاقات و هوايات منظمة و تأديبية

من الاركيولوجيا الى الجينيالوجيا:

أحدث ميشال فوكو «(Michel Foucault » زعزعة و هزة في الثقافة الغربية الجديدة، كرس فلسفته لدراسة البدايات الأولى للتعامل مع الإنسان من خلال موته اجتماعيا ومؤسساتيا. هي زحزحة في الأنظمة المؤسساتية حيث تقهقرت المنظومة المعرفية و اختنقت يقول عمر مهيبل : « يجب أن نؤكد من البداية أن فوكو لا يؤرخ تاريخ الأفكار، بل إنه يحاول أن يؤكد الانقطاعات الابستيمولوجية في تاريخ الفكر الغربي».

اقترن اسم ميشال فوكو بإشكالية موت الإنسان من داخل العلوم الإنسانية من خلال الإطاحة بتلك الذات التي لطالما تغنت بسراب المركزية، نجد هذا الأفق الجديد خاصة في كتابيه " الكلمات والأشياء" و "حفريات المعرفة".

يعتبر ميشال فوكو«(Michel Foucault » نقطة مفصلية في الفكر البنيوي الفلسفي المعاصر على خلاف الرواد الأوائل في مجال اللسانيات و الانثربولوجيا و علم النفس حيث قام بفضح وتعرية أرضية فلسفة طالما همشت و قبرت .

إن الاركيوبولوجيا ليست هي الانثربولوجيا ولا هي السيكولوجيا و لا هي علم النفس، إنها إستراتيجية حفرية، نقدية تقويضية تغوص في البني المختلفة لتشرحها و تكشف خباياها.

إنطلق فوكو كباحث صارم، من خلال منهجه الاركيولوجي فوّجه ضربة قاضيه قاضية للنزعة الإنسانية، أو كما يطلق عليها الانسانوية، فالإنسان حسب تعبير فوكو ما هو إلا «أسطورة القرن التاسع عشر».

حاول فوكو من خلال حفرياته أن يكشف عن لا شعور الخطاب المعرفي خاصة كتاباته الأولى خلال حقبة الستينات، التي تتلون بصبغة بنيوية فلم يبقي الفيلسوف معزولا عن الحركة البنيوية التي سادت آنذاك في الثقافة الفرنسية، حيث انتقل فوكو من المعجب إلى المتبني، بحيث اعتبرها: «وعي المعرفة الحديثة المستيقظ و القلق» .

اتخذ فوكو من منهجه الاركيولوجي الأرضية الخصبة لتحديد ابستيمية كل عصر و كل حقبة تاريخية مثلا " ابستيمي التشابه" هو ما عرف في النهضة، أما العصر الكلاسيكي فكان يحكمه "ابستيمي النظام" ، أما عن العصر الحديث فقد حكمه " ابستيمي التاريخ وظهور الإنسان.

تعد جاهزية الابستيمية العامة، هي المصدر الموثوق لتنشئة العلوم الإنسانية فهي المسؤولة على بناء الإنسان وتكوينه: «فكل علم، إذ درس على المستوى الاركيولوجي و كشفت أرضية وضعيته يبرز دائما الإطار المعرفي الذي يجعله ممكنا».

تتمحور فرضية المنهج الاركيولوجي في أن التشكيلات الخطابية، مضبوطة و محكومة بقواعد و نسق معين، فكل عصر يفكر بشكل مختلف عن عصر سبقه، بالتالي يخضع النظام المعرفي عند فوكو للانقطاع و اللا استمرارية فزوال أي عصر أو ابستيمي، هو بمثابة ميلاد و ظهور عصر وابستيمي جديد.

« لكن التحليل الاركيولوجي المجرد لا يمكنه أن يقول أي شيء عن أسباب التحول من طريقة تفكير إلى آخر و بالتالي ربما كان مجبرا على تجاهل الحالة الأكثر إلحاحا و هي مكان أوضاعه المعاصرة المترسخة.

أما الجنيالوجيا فهي المنهج الجديد المطبق في "راقب و عاقب" كان منه إصلاح هذا القصور (...) أراد فوكو لمصطلح الجينيالوجيا أن يكون استدعاء الجينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه» .

تعد الجينيالوجيا الأداة التي تسمح بالتقاء بين الفلسفة و التاريخ، من خلال تقويض المسائل الميتافيزيقية و نقد منطلقاتها و إعادة النظر في مفاهيم طالما اعتبرت حقيقة ثابتة و مطلقة «و لعل أهمية البحث الجنيالوجي كتقويض للميتافيزيقا، تظهر في وصفه للواقع الإنساني كواقع يتشكل من الصراعات والمصالح ومن ثمة الهيمنة و الرغبة في التملك ».

إن ما يميز الجينيالوجيا هو انشغالها بالبحث في المجالات التي تتدخل في الأصل و أبداية، إما الركيولوجيا فقد كانت تهتم بالقطيعة واللا استمرارية، هذا ما ألهم فوكو من خلال ما يميز الجينيالوجيا هو «إقامة تاريخ محاصر» لأنه أراد أن يركز اهتماماته حول الراهن والوقت المعاش، ولعل هذا ما ميز فوكو عن غيره من الفلاسفة والمؤرخين والمفكرين الذين وجهوا اهتماماتهم إلى

مسائل غير الذي قصدها فوكو، فمعه نجد أنفسنا على أرضية فلسفية غير مألوفة و الولوج إلى أفق للتفكر الراهني و الحاضر.

جعل فوكو من الفلسفة، الأداة و الطريقة للتفكير في أنفسنا، فالحاضر هو نحن و نحن هم الحاضر، بالتالي مع فوكو هناك قضايا تبدوا عادية وتافهة معه تصبح قضايا مركزية ومحورية، ولعل هذا ما يميزه . إن الحاضر عند فوكو هو منبع اشكالياتنا و تساؤلاتنا.

إن ما يقع على السطح هو الحقيقة لا يوجد عمق حسب قوله: «إن كل ما يقع، يقع على السطح، و بالتالي ليس هناك عمق» .

إن الحقيقة بالنسبة لفوكو هي الحاضر، الراهن، المعاش، فلا وجود لحقيقة خالدة وثابتة بل هي متغيرة بتغير ظروفنا و طبائعنا و واقعنا. أنها حقائق متعددة و متشتتة فلا وجود لحقيقة واحد لكن هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل جد مهم ألا و هو « في ما تكمن أهمية الجينالوجيا بالنسبة لفلسفة فوكو؟ و ما علاقتها بالسلطة».

استعاد فوكو من نيتشه المنهج الجينالوجي وإرادة القوة، لأن كل قوة تتجه نحو الهيمنة والسيطرة « لهذا من العبث إقامة تاريخ للحقيقة دون الاهتمام بصراع القوى، فما يسمى عادة حقيقة ما هو إلا تجسيد لقوة انتصرت على قوة أخرى »

أخذ مفهوم الحقيقة مع فوكو مجرى جديد، حيث أن الحقائق متعددة تبعا لتعدد القوى، فقد كشف الفيلسوف عن كيفية إقامة العلاقة بين تاريخ الحقيقة و صراع القوى من خلال «الحدث ». ذلك الحدث الهمل والمنسي من خلال الوقوف عند الواقع و التجربة المعاشة.

«سلطة المؤسسة أم مؤسسة السلطة » :

قام ميشال فوكو«(Michel Foucault » بشرح كل الأشكال والظروب الخفية، سلط الضوء على اللامفكر فيه، من خلال منهجه الاركيولوجي، قام بفضح مواضيع لطالما كانت مخفية ومستترة، سعى فوكو جاهدا لفهم العلاقة بين السلطة والفرد، السلطة والجنس، السلطة والمؤسسة من خلال تتبع ميكانيزماتها و تأثيرات كل واحدة منها على الأخرى.

وظفت المؤسسات الفرد كوسيلة لانتحال تطور الطب العقلي "La psychiatrie" من خلال تطبيق تجارب بتعاطيه الأدوية والعقاقير حيث أضحت المؤسسات العلاجية نتاج تعدي وتعسف، فبات إقصاء الإنسان محتملا بل و مؤكدا.

حاول فوكو أن يفسر الآليات التي دفعت بتضخم ظاهرة السجن بالطريقة التي تطورت فيها وصولا إلى الفترة الراهنة وكيف تحولت هاته المؤسسات إلى رهان فلسفي؟

إفتتح فوكو أرضية فلسفية جديدة للخوض في الجزئيات المهمشة،« فلم يكن مجرد إعادة تقييم لمناهج علوم إنسانية ومادية قد تتعرض لظاهرة العقوبات الجرمية والحلقات المرتبطة بها، بل أن المقصود هو إعادة وضع هذه العلوم بالذات و الظاهرة أو الموضوع الذي تدرسه موضوع السؤال الابستيمولوجي» .

تستغني الفلسفة عن كل مسلماتها الكلاسيكية وتهجر لغتها التقليدية، تقويض وتزحزح أدواتها، فتنزل إلى المستشفيات والمصحات والمحاكم والمكتبات العامة « و المقصود دائما ليس بعث التاريخ و لا مشاهده لكنه جعل التاريخ ذاته يقدم لنا حيله السرية (...)رفض فوكو كل أشكال توزيع الأدوار و تقاسم مناطق النفوذ المعرفي و الولوج إلى صميم الحادثة»

إن ما يهم فوكو هو الواقع الاجتماعي والصحي و الثقافي، حيث تزايد و تفاقم العقل الاداتي، فأصبحت التكنولوجيا مسيطرة على حياة الإنسان الاقتصادية و الإنسانية. أراد الفيلسوف تفكيك مقومات الحداثة السلبية وتقويضها فهي المسؤولة عن التهميش والهيمنة و الاغتراب و ظاهرة التمرد و العنف و النرجسية. في الحقيقة إن فوكو لا ينكر دور الحداثة في فك أغلال العصور الظلماء «بالإضافة إلى تحرير الإنسان من جدلية العبد و السيد و استبدال مفهوم الرعية بمفهوم المواطنة ناهيك عن ما حدث من تطوير مفهوم الاستقلالية التي أدت إلى ظهور مفهوم الفردية وبالتالي إن المواطنة هي التي حررت الإنسان من القصور والاتكالية و الوصاية بكل أصنافها» .

انتقل فوكو«(Michel Foucault » في مسيرته الفكرية من الاهتمام بالممارسات الخطابية إلى الممارسات غير الخطابية، فالبحث عن الماهيات ليس موضوع فيلسوفنا المنشود بل «الحقول المؤسساتية و مجموعة الأحداث و الممارسات والقرارات السياسية و تسلسل سياقات اقتصادية، حيث تظهر تغيرات ديموغرافيا و تقنيات مساعدة و احتياجات إلى اليد العاملة و مستويات عدة من البطالة» .

إن ما يهم فوكو هو "الحدث" و "الندرة"، اراد أن يحاور الجنون و العيادة و السجن والجنس، إنها موضوعات تبدو تافهة وعادية إلا أن مع فوكو لا تستهويه القمم الفلسفية ولا النصوص الكبرى انه يهتم بالحاجات المفهومية كما يسميها، فالفكر« ليس ما يجعلنا نؤمن بما نفكر أو نرضى بما نفعل، بل هو ما يجعلنا نطرح مشكلة ما نحن عليه بالذات، ليس عمل الفكر أن يدين الشر الذي قد

يسكن كل ما هو موجود، بل أن يستشعر الخطر الذي يكمن في كل ما هو مألوف و أن يجعل كل ما هو راسخ موضع إشكال».

استهوت الفلسفة الكانطية، مبتغى فوكو لاهتمامه بالحدث و التاريخ من خلال السؤال الكانطي؛ ما هو التنوير؟ حيث وافق فوكو عن هذا التساؤل لما يرى فيه من دعوة نحوى الراهن و المعاش من خلال، استخدام العقل عموميا و راهنيا، إلا أنه لا يوافق كانط «على الحلول التي يقترحها و المتمثلة في رعاية الدولة للعقل، ترعاه و تؤمن تقدمه، لأن هذا التآزر بين العقل و الدولة و الذي تم فعلا، سيجعل الجانب التنظيمي و الأداتي للعقل يطغى على جانبه النقدي فينساق إلى القسمة و التقويم و الضبط في نظام تأديبي متعدد الشبكات، انه يحدد الخارج لكي يقوم بتنظيم الداخل »

يرفض فوكو نسقية المفاهيم، و وحدة الحقائق و توافق الأسلوب و تشابه الأحداث، بل هناك تعددية الحقائق إنها فضاء التشكيلات غير الخطابية، إنها المسألة السياسية يقول فوكو: «إن المسألة السياسية ليست الخطأ أو الوهم، أو الوعي المستلب أو الاديولوجيا (...) بل هي مسألة الحقيقة ذاتها »

اتجهت أعمال فوكو نحو الممارسات غير الخطابية لكي تكشف و تفضح مظاهر الإكراه، هكذا اتجه إهتمامه نحو المؤسسات الاستشفائية والمصحات للكشف عن مواضيع جديدة (التحليل النفسي والطب العقلي) اتجه كذلك نحو السجون ليفضح مواضع الإكراه والتعذيب و العقاب.

مظاهر الإكراه عند فوكو :

يتضح لنا أن فوكو متنافر أكثر مما هو مترابط بالمقارنة مع معاصريه " عصر ما بعد الحداثة"، إنه مبعثر المسار، متعدد الأوجه، متشعب الرؤى والقراءات « (....) فهو يمضي من الجنون خلال العصر الكلاسيكي إلى استخدام الرغبات طيلة العصور القديمة، و من ولادة العلوم الإنسانية إلى ولادة السجون، مرورا بالنظرة الطبية أو بمحفوظات البساتيل، دون أن نحسب مؤلفات ريمون روسيل و مانيه، بين الأدب و التفكير الجمالي».

لم يكن فوكو لان يمتلك طريقة واحدة و نظرة ضيقة للمعرفة، كانت قراءته الابستيمية متميزة مختلفة الأهداف، نظرا لابتكاره مفاهيم جديدة، يقوّض تلك المفاهيم ليبتكر مفاهيم جديدة أخرى، كتاباته وأبحاثه تعرف بالتشظي، تسود فكرة القطيعة جل أعماله،ذهب فوكو إلى تقارير الشرطة وكتب السحر و التحليل النفسي، انه فيلسوف الغامض و المنسي.

ارتبط مصطلح كل من المستشفيات والمصحات و الجنون بميشال فوكو؛ نجده مؤرخا لتاريخ الجنون للعصر الكلاسيكي، و تاريخ الجنسانية و ولادة العيادة. أجرى فوكو حفرياته عبر تاريخ الممارسة حيث جعلها ضرورة قصوى، اهتم بالظاهرة البيولوجية لأنها تشكل – حسب رأيه– بعدا رئيسيا من الأبعاد الثلاثة(العمل، البيولوجيا، اللغة) و ربطها بالتاريخ لأنه لا يمكننا فهم أي ظاهرة ما دون الرجوع إلى تاريخها، يقول « إن نزوع بعض الباحثين إلى دراسة و تطور القضايا الصحية المرتبطة بها بعيدا عن السلطة السياسية التي تحتضنها والشروط السياسية و التاريخية و الاجتماعية التي تولد داخلها هو ما افقد هذا النوع من الدراسات جزءا من كمالها».

الجنون و مؤسسات الصحة و المشفى:

إن إنتاج " الوعي الطبي للجنون " حسب فوكو باعتباره مرضا " المركز البيضوي" في الدماغ هو بؤرة وظائف الذهن، لأن الدم الشرياني يتخذ شكلا دقيقا و يتحول إلى ذهن حيواني و بالتالي فان صحة الذهن في أبعادها المادية محكومة بانتظام و تساوي و حرية سير الأذهان في تلك القوانين الصغيرة» .

« في عصر النهضة كان الجنون و ما يزال حاضرا أمام المجتمع و حتى أمام العقل : فهو واقع على جدوى العالم و الإنسان و الموت كصورة للقيامة و لعلّه ابتداء من "ايرازم" و " النزعة الإنسانية" ثم الإمساك به بالتدريج ضمن عالم القول (....) و قد أظهر فوكو في سنة 1954 في كتب صغيرة جير أن جذور الأمراض الذهنية لا يمكن العثور عليها إلا في « تأمل في الإنسان ذاته أو بعبارة أدق في البيانات الاجتماعية»

أراد فوكو أن يقف عند أصول العقلية الغربية الحديثة لكشف مواطن الزلل والخلل، انتهج بذلك طريقا فرق بين العقل والجنون من خلال استنطاق المسكوت عنه واستحضار المنسي وفضح المقصى و المهمش انطلاقا من الذاتية الديكارتية وصولا إلى ذاتية هيجل.

إن الجنون يعد نوعا من الوظائف الاجتماعية الموجودة في كل المجتمعات هذا ما وضحه غوكو في كتابه " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي سنة 1961.

تناول فوكو في هذا الكتاب طريقة تعمل الحضارة الغربية مع الجنون منذ العصر الوسيط إلى غاية العصر الحديث مبرزا آليات الإكراه التي تم تكريسها داخل المستشفيات وخارجها بحجة المعالجة لغرض ترهيب المجتمع من الشخص المجنون كما يبين الكاتب تلك الحساسية المفرطة ايزاء الخبل التي انتشرت خاصة منذ القرون الوسطى"

" إن المستشفى بعامة مظهره لا يحمل إلا مخلفات المرض المعالج وهذه المؤسسات محليا ما هي إلا احتياط ضروري هدفه الحماية بخلق من المستشفى، نتيجة التسيير السيئ للمعانات والتمييز بين المرضى بتعاطي العلاج فكانت مكانا أن اتخذت مظهرا للإهمال و للاهتمام تعسفا، تحاملا على الإنسان المريض اتخذ من تطبيق السلطة تعفين دور المستشفى كمؤسسة علاجية ومعرفية، هذا الدور بالنسبة إليه تغيير كفضاء للعلاج و الحماية، بحيث يدلنا الفيلسوف عن الفضاء الذي أنتج معرفة، استثمرت لصالح الكائن، بل نرى رغم التحسيس وفي مرات كثيرة تجسيد الدور الموضوعي لها، إلا أن هذا لا يتملص من ثغرات في اهتماماتها حول مركزية المعرفة. حيث وقوفه على المؤسسة من خلال المستشفى، كان بالاعتماد على كياني"

يمكن اعتبار فلسفة فوكو هي فلسفة مقاومة لأنها تفكك مقومات و استراتيجيات و تعمل على فضحها بحثا عن الآخر المهمش، فهذه اكبر علامة دالة على الاعتراف بالآخر، ناشد ميكرو سلطات، التي نجدها مبثوثة في المجتمع لان الحقيقة لها وجه آخر، هو العنف و الاستبداد والتسلط.

إن المصحات و المستشفيات من بين المؤسسات و الفضاءات تعمل داخلها السلطة، إن فوكو مثل نيتشه وهايدغي، أوضحوا أن الحقيقة لم تعد مجرد رغم انتشارات البروميثيوسية، إلا أن هناك الوجه الحقيقي الآخر للحقيقة.

الذات و السلطة:

إن المساءلة الفوكوية للسلطة، هدفها الكشف عن آلياتها و تقنياتها من خلال الكشف عن علاقة السلطة بالمجتمع. إن مفهوم السلطة تجاوز الحيز التقليدي المرتبط فقط بالبعد السياسي، فأصبح مع فوكو يسمى " ميكرو السلطة"، حيث درس هذا الفيلسوف تلك التحولات السياسية من العصر الكلاسيكي إلى عصر الحداثة في أواخر السبعينات متمثلة في كتابه " يجب الدفاع عن المجتمع" و " مولد السلطة الحيوية".

إن أستاذ القاعات السبع* أضفى على السلطة معطى محايف و مختلف من خلال تفتيت السلطة إلى ذرات و جزئيات، هذا يفكرنا بفلسفة "فيد جشتطاين" التحليلية الذي بدوره يقوم بفك كل ما هو مركب إلى جزئيات وصولا إلى أصغر جزء ممكن من خلال تحليل القضايا اللغوية إلى قضايا ذرية وهنا التقى الفيلسوفان في نفس المسالة التداولية.

ساهم الامتزاج بين السلطة والمعرفة في خلق مؤسسات انضباطية وعقابية كالملاجئ والسجون « فكلما علت مكانة المعرفة في المجتمع زادت سلطته فيه، و صار لها نفوذ معرفي قوي لكنه لا يقوم على الإكراه بل على الإقناع والاقتناع»، لأن هاته السلطة تتبنى على تقديم الحجة والدليل العلمي لإقناع الطرف الآخر بالفاعلية الايجابية لها و القيمة المضافة إلى أي معلومة في حياة الأفراد في المجتمع.

كان العاهل هو الوحيد الذي لديه الحق في تقرير مصير الرعية، وفقا لما يضعه من قوانين، داخل المجتمعات القديمة و البسيطة يقول فوكو : «ليس من الظواهر الطبيعية المباشرة و الاصلية (...) اننا نجد للعاهل حق الحياة و الموت على الرعية وفقا للقانون و عليه فان حياة و موت الرعية، لا يصبحان حقا الا بإرادة العاهل» .

أما مع المجتمع الحديث جاء ابستيمي جديد " سياسة حيوية تتمل في سلطة الاحياء و لا وجود لحق الموت حيث جعلت الدولة لنفسها الحق في التدخل في شؤون الحياة الانسانية « لتتدخل في الحياة و طريقتها و مستواها والتحكم في الأعراض و الحوادث و النقائض» ..

تتبع الدولة إستراتيجيتاها لاعطاء حق الحياة فتشغل على الجسد تراقبه و تروضه و تضبطه، إن غاية الدولة الأساسية هي التحكم في نسبة الولادة من خلال تجنب الموت الذي يهدد البشر كالحد من الامراض القاتلة، لأن «هذه الظواهر كالولادة و معدل الخصوبة و الانجاب و الامراض، تهدد بشكل مباشر الانتاج و انخفاض وقت العمل و تدني الطاقة، و ارتفاع التكلفة الاقتصادية، انها تسبب في نقص الانتاج و العلاج المكلف ».

كانت الدولة تسعى خاصة في القرن الثامن عشر في أن تساير و توازي الظواهر الاقتصادية مع الظواهر السكانية، كذلك في حالة المرض فهي تستحضر تلك المشاكل التي يسببها الفرد في كونه عاجز عن العمل « فالمريض يوضع داخل المستشفى و يصبح حملا مزدوجا (...) هذا الحمل ينعكس سلبا على الدولة التي تصبح ملزمة بتوفير العلاج و مكان العلاج كالمستشفيات وأداة العلاج و وسائطه كالطبيب والأدوية».

كشف فوكو عن الدور الذي قامت به الرأسمالية في خلق سلطة حيوية، فهي كانت تحتقر الجسد لأنه كان عرضة لقوى انضباطية و عقابية و ترويضية، ذلك الجسد الذي يعاني يوميا كل مظاهر الإكراه في السجون والمعتقلات وحتى المستشفيات خاصة المهيأة للمرضى العقلانيين «فالجسد أصبح ذلك الكائن المنضبط " ميلاد العيادة" إنهمّ فوكو بسؤال كيف تنتج المعرفة و الممارسة الطبية على الجسد و تطوره داخل المؤسسات المستقرة للسلطة الطبية، أما " في مولد

السجن"، فقد حلل فوكو نمو الجسد المنضبط كنتيجة للممارسة العقابية، وأخيرا في تاريخ الجنسانية اعتبر فوكو أن الجنس مظهر لأنشطة الجسد، بمعنى آخر هو رهان سياسي من جهة لضبط الجسد، و من جهة أخرى لتنظيم السكان».

يرى فوكو أن السلطة ارتحلت من الارضية السياسية الى الارضية المعرفية و المؤسساتية والجسدية انها سلطة منتجة. كان المفهوم التقليدي للسلطة على أنها هيكل و مجموعة من القوانين حسب المنظور الماركسي، مع فوكو اضحت السلطة متخذة منعرجا، فهي مجهرية، متعددة، منتجة لا مرئية «إن البحث و الحفر و المسكوت عنه في السلطة عبر التاريخ لتوضيح و تعرية بعض العتمات هو دعوة الى تجاوز الظاهر من السلطة الى باطنها، لانها في طبيعتها تمارس بشكل سري يصعب الامساك بها».

الخاتمة

ما حدث بعد ثورة 1968، جعلت فوكو يزحزح الارضية الفلسفية السياسية المعاصرة حاملا على عاتقه تقويض التصورات التقليدية. أراد الفيلسوف أن يقوم بعملية تفكيك وترويض وضبط النظم المخالفة التي يتعرض لها الجسد من خلال بنى الرقابة في المؤسسات كالمنزل والشارع والمدرسة والجامعة والمستشفى والسجن و المعمل ... الخ.

– كان اختصاص فوكو هو الحفر وصولا إلى العمق من خلال كتابه " اركيولوجيا المعرفة" و"المراقبة و العقاب"، "ميلاد العيادة". طرح تصوره الفلسفي لعلاقة السلطة بالحقيقة

– وضح فوكو، صورة جديدة للطب الذي بدوره ساهم في إخضاع الجسد وضبطه، حيث تفاقمت السلطة الطبية على كل المجالات و حل الطب الآلي محل الطب الإنساني، وأصبح الجسد مجرد جسم يعاد إنتاجه من خلال الخطاب الطبي الذي يتخذ لباسا علميا .

– إن المعرفة الطبية تساهم في تشكل بُنى العلاقة الاجتماعية فكل توسع وتطور للأبحاث الطبية الجديدة،تهدف إلى ترويض الجسد و مراقبته و فحصه لتجعله أكثر استغلالا و انقيادًا.

– إن السلطة من منظور فوكو هي مجهرية، تعددية، منتجة، إنها ميكرو السلطة.

أراد فوكو أن يبني صرحا فلسفيا متكاملا تنجلي تحته؛ نظرية المعرفة، النظرية السياسية، النظرية الأخلاقية إن أستاذ القاعات السبع اتجه إلى المنسي و المهمش و المرفوض.

الاسم : ميشال فوكو

✦ **أمكنة و أوساط**

من برجوازية الأرياف، إلى جامعات كاليفورنيا ، يمر المسار النادر لميشال فوكو لسويد وتونس قبل أن يلتحق بالكوليج دور فرانس، و الحركات الاحتجاجية.

✦ **12 تاريخا :**

1926: ولادته في بواتييه.

1946: دخل المدرسة العليا للمعلمين.

1950: انتسب إلى الحزب الشيوعي و تركه بعد ثلاثة سنوات.

1954–1959 : عين ملحقا ثقافيا في اوبسالا ، في السويد.

1961: نشر كتاب الجنون و غير المعقول و تاريخ في العصر الكلاسيكي.

1965 : عمل أستاذا جامعيا في تونس.

1966: نشر كتاب الكلمات والأشياء.

1970: انتخب أستاذا في الكوليج دور فرانس .

1972: شارك في تنظيم لجنة عمل السجناء.

1975: نشر كتاب المراقبة و العقاب.

1976: باشر في نشر تاريخ الجنسانية .

1984: مات في باريس بمرض السيدا.

✦ **مفهومه عن الحقيقة :**

الحقيقة في نظر فوكو تعتمد على منظومات الفكر، تعبر عن علاقة قوة، تولد آثار في الجسد و في التصرفات.

✦ **جملة جوهرية:**

الإنسان ابتكار تفتي فكرنا حداثة تاريخه، ربما نهايته القادمة.

قائمـــة المصـادر و المراجـع

المصـــادر :(اللسان العربي)

- ميشال فوكو،، المراقبة والمعاقبة (ولادة السجن)، تر: علي مقلد ، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1990.
- ميشال فوكو، جينيالوجيا المعرفة، تر: أحمد السطاتي – عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال، المغرب، ط1988،1.
- ميشال فوكو، نظام الخطاب، أحمد السطاتي – عبد السلام بن عبد العال، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985،
- ميشال فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة، ط1، 2003.
- ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بوكراد، المركز الثقافي العربي،ط1، 2006.
- ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سيلاء، التنوير للطباعة و النشر، لبنان، بيروت، ط2، 2012.

المصـــــادر :(اللسان اللاتيني)

- M.Foucault, naissence de la clinique, cérés édition, Tunisie, 1995.

المراجـــــع (اللسان العربي)

- عمر مهبيل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993
- د. غاري غولتينق، بروفيسور الفلسفة في جامعة نوتردام، ميشال فوكو– موسوعة ستانغورد، تر: يوسف الصمعان– 2017/11/5، مجلة الحكمة من أجل اجتهاد ثقافي و فلسفي.
- محمد الاندلسي، الفلسفة السياسية المعاصرة، تصور ميشال فوكو/ www.mohamedandaloussi.wordpress.com
- مصطفى الحسناوي، فوكو و السياسة، منشورات الاختلاف، المغرب، ط1. 2003.

حسن المصدق، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة و معرفة السلطة، مجلة العرب الثقافي، العدد 11، الخميس 26. 2007/07.

- عبد الله العروي، مفهوم الاديولوجيا، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 1980.
- عبد العزيز العيادي، مبشال فوكو " المعرفة و السلطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- سيد ولد أباه، التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- روجي بول دراو، اساطين الفكر، تر: علي نجيب إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2012.
- جيجيكة إبراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011
- رايس زواوي، في فلسفة ميشال فوكو بين الإنسان و الحيوان خط رفيع، دار صفحات، سوريا ، ط1، 2014.
- محمد شحرور، الدين و السلطة، قراءة معاصرة للحاكمين، دار الساقي، ط1، 2014.

المراجـــــع :(اللسان اللاتيني)

- F-Nietzsche la généalogie de la morale, Gallimard,Henri Albert,1964